الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي (١٣٠٧هـ-١٣٧٦هـ)

"السفينة أكثر أماناً وهي راسية في الميناء، ولكن.. هل صنعت لذلك؟"

هو العلامة المفسر الذي طلب العلم وجدّ فيه فحفظ القرآن الكريم والمتون فاشتهر أمره وعلت منزلته وكثر تلاميذه، وترك عدة كتب نافعة، أكثرها في تفسير القرآن وعلومه، حتى أصبح من أبرز علماء زمانه علماً وأخلاقاً وتأليفاً.

فمن هو الشيخ السعدي؟

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ محرم عام ١٣٠٧هـ، وتوفيت أمه وله أربع سنين، وتوفي والده وله سبع سنين، فتربى يتيماً ولكنه نشأ نشأة حسنة، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم، وقد قرأ القرآن بعد وفاة والده ثم حفظه عن ظهر قلب، وأتقنه وعمره أحد عشر عاماً، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده وعلى

obeikandl.com

من قدم بلده من العلماء، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك حتى أنه في عام ألف وثلاثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعاً إليه، ومعول جميع الطلبة في التعلم عليه.

بعض مشايخ الشيخ:

أخذ عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أول من قرأ عليه وكان الشيخ يصف شيخه بحفظه للحديث، ويتحدث عن ورعه ومحبته للفقراء مع حاجته ومواساتهم، وكثيراً ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فيخلع أحد ثوبيه ويلبسه الفقير مع حاجته إليه، وقلة ذات يده رحمه الله، ومن مشايخ الشيخ السعدي: الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، قرأ عليه الفقه وعلوم العربية وغيرهما، ومنهم الشيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة) قرأ عليه التوحيد والتفسير والفقه أصوله وفروعه وعلوم العربية، وهو أكثر من قرأ عليه الشيخ السعدي ولازمه ملازمة تامة حتى توفي رحمه الله، ومنهم الشيخ عبد الله ابن عايض، ومنهم الشيخ صعب التويجري، ومنهم الشيخ علي السناني ومنهم الشيخ على الناصر أبو وادي، قرأ عليه الحديث، وأخذ عنه الأمهات الست وغيرها وأجازه في ذلك، ومنهم الشيخ محمد بن الشيخ عبد العزيز المحمد المانع (مدير المعارف في المملكة العربية السعودية) في ذلك الوقت، وقد قرأ عليه السعدي في عنيزة، ومن مشايخه الشيخ محمد الشنقيطي (نزيل الحجاز قديماً ثم الزبير) لما قدم عنيزه وجلس فيها للتدريس قرأ عليه الشيخ السعدي التفسير والحديث وعلوم العربية، كالنحو والصرف ونحوهما.

نبذة من أخلاق الشيخ:

كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعاً للصغير والكبير والغني والفقير، وكان يقضي بعض وقته في الاجتماع بمن يرغب حضوره فيكون مجلسهم نادياً علمياً، حيث يحرص أن يحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية ويحصل لأهل المجلس فوائد عظيمة من هذه البحوث النافعة التي يشغل وقتهم فيها، فتنقلب مجالسهم العادية عبادة ومجالس علم، ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه، ويبحث معه في الموضوعات النافعة له دنيا وأخرى، وكثيراً ما يحل المشكلات برضا الطرفين في الصلح العادل، وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء ماداً يد المساعدة لهم بحسب قدرته ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير في المناسبات، وكان على جانب كبير من الأدب والعفة والنزاهة والحزم في كل أعماله، وكان من أحسن الناس تعليماً وأبلغهم تفهيماً، مرتباً لأوقات التعليم، ويعمل المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون، وكل من حفظه أعطي الجعل ولا يحرم منه أحد.

ويتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة، ويجاري ما عليه رغبة أكثرهم ومع التساوي يكون هو الحكم، ولا يمل التلاميذ طول وقت الدراسة إذا طال لأنهم يتلذذون من مجالسته، ولذا حصل له من التلاميذ المحصلين عدد كثير ولا يزال كذلك.

علم الشيخ:

كان ذا معرفة تامة في الفقه، أصوله وفروعه. وفي أول أمره متمسكاً بالمذهب الحنبلي تبعاً لمشايخه، وحفظ بعض المتون من ذلك، وكان له مصنف في

openkanal.com

أول أمره في الفقه، نظم رجز نحو أربعمائة بيت وشرحه شرحاً مختصراً، ولكنه لم يرغب في ظهوره.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي. ولا يطعن في علماء المذاهب كبعض المتهوسين، هدانا الله وإياهم للصواب والصراط المستبين. وله اليد الطولى في التفسير، إذ قرأ عدة تفاسير وبرع فيه، وألف تفسيراً جليلاً في عدة مجلدات، فسره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت التصنيف كتاب تفسير ولا غيره، ودائماً يقرأ والتلاميذ في القرآن الكريم ويفسره ارتجالاً، ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده، ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة، حتى إن سامعه ليود أن لا يسكت لفصاحته وجزالة لفظه وتوسعه في سياق الأدلة والقصص، ومن اجتمع به وقرأ عليه وبحث معه عرف مكانته في المعلومات، كذلك من قرأ مصنفاته وفتاويه.

مصنفات الشيخ:

١- تفسير القرآن الكريم المسمَّى "تيسير الكريم المنان" في ثماني مجلدات أكمله في عام ١٣٤٤.

٢- إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، رتبه على السؤال والجواب، طبع بمطبعة الترقي في دمشق عام ١٣٦٥ على نفقة مؤلفه الشيخ السعدي ووزعه مجاناً.

٣- الدرة المختصرة في محاسن الإسلام.

obeikandi.com

٤- الخطب العصرية القيمة، لما آل إليه أمر الخطابة في بلده اجتهد أن يخطب في كل عيد وجمعة بما يناسب الوقت في الموضوعات المهمة التي يحتاج الناس إليها، ثم جمعها وطبعها مع الدرة المختصرة في مطبعة أنصار السنة على نفقته ووزعها مجاناً.

٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن، طبعها في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦، ووزع مجاناً.

٦- تنزيه الدين وحملته ورجاله، مما افتراه القصيمي في أغلاله، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز "الشيخ محمد افندي نصيف" عام ١٣٦٦هـ.

٧- الحق الواضح المبين، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.

٨- توضيح الكافية الشافية، وهو كالشرح لنونية الشيخ ابن القيم.

٩- وجوب التعاون بين المسلمين، وموضوع الجهاد الديني، وهذه الثلاثة الأخيرة طبعت بالقاهرة السلفية على نفقة الشيخ السعدي ووزعها مجاناً.

١٠- القول السديد في مقاصد التوحيد، طبع في مصر "بمطبعة الإمام" على نفقة عبد المحسن أبا بطين عام ١٣٦٧.

١١- مختصر في أصول الفقه.

١٢- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، طبع على نفقة مؤلفه الشيخ السعدي وجماعة من المحسنين، وزرع مجاناً.

١٣- الرياض الناضرة.

obeikandl.com

وله فوائد منثورة وفتاوى كثيرة في أسئلة شتى ترد إليه من بلده وغيره ويجيب عليها، وله تعليقات شتى على كثير مما يمر عليه من الكتب، وكانت الكتابة سهلة يسيرة عليه جداً، حتى إنه كتب من الفتاوى وغيرها شيئاً كثيراً.

ومما كتب نظم ابن عبد القوي المشهور، وأراد أن يشرحه شرحاً مستقلاً فرآه شاقا عليه، فجمع بينه وبين الإنصاف بخط يده ليساعد على فهمه فكان كالشرح له، ولهذا لم نعده من مصنفاته.

غايته من التصنيف:

وكان غاية قصده من التصنيف هو نشر العلم والدعوة إلى الحق، ولهذا يؤلف ويكتب ويطبع ما يقدر عليه من مؤلفاته، لا ينال منها عرضاً زائلاً، أو يستفيد منها عرض الدنيا، بل يوزعها مجاناً ليعم النفع بها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ووفقنا الله إلى ما فيه رضاه.

وفاته:

توفي الشيخ السعدي سنة ١٣٧٦هـ وله من العمر ٦٩ عاماً في مدينة عنيزة في منطقة القصيم تاركاً خلفه ثلاثة من الأبناء هم: عبدالله ومحمد وأحمد، وقد رثاه د. عبدالله العثيمين بقصيدة طويلة نذكر منها بعض الأبيات حيث يقول:

مُـــهجٌ تذوب وأنفسٌ تتـــحـــســـرُ

ولظى' على كل القلوب تســـعَّـــرُ

كـــيف التـــحـــدث عن مـــصـــابٍ فـــادحٍ

أكـــبـــادنا من هوله تتـــفـــطّرُ

يا راحـــلاً ريعَ الثـــقـــاتُ لفـــقـــده

وبكى' تغـــيـــبـــه الحـــمى والمنبـــرُ

مـا مـات مَنْ نشـر الفـضـيلة والتـقى'

وأقـــام صـــرحـــاً أُســـه لا يكســـرُ

مـــا مـــات من غـــمـــر الأنام بعلمـــهِ

الكتبُ تشـهـدُ والصـحـائفُ تخـبـرُ

يا ناصـرَ الإســلامِ ضـدَ خـصـومـه

لك في الجـهـاد مـواقف لا تحـصـرُ

قـــد كنتَ للدين الحنيف مـعـضـداً

وبشـرعـة الهـادي القـويم تعـبـرُ

يا زاهداً عـرف الحـيـاة فـمـا هوى'

في المغـريات ولا سـبـاه المظهـرُ

نم في جنان الخلد يا علم التـقى'

وانعم بظلٍ وارفٍ لا يخـسـرُ